البَابُ الرابع

الحياة البرزخية (حياتنا بعد موتنا)

حياة القبر والحياة البرزخية فى القرآن والسنة

١ – حياة القبر :

يقول الله تعالى فى سورة عبس : (قتل الإنسان ماأكفره.من أى شىء خلقه . من نطفة خلقه فقدَّره . ثم السَّبيل يسَّره.ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره .) .

ويقول سبحانه فى سورة النور : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) .

ويقول تعالى فى سورة الأنعام : (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) .

ويقول سبحانه فى سورة السجدة : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) .

وفى سورة التوبة : (ولاتصلّ على أحد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره) .

ويقول تعالى فى سورة الحج : (وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور)

وفى سورة فاطر :

(إن الله يسمع من يشاء ومأأنت بمسمع من فى القبور) .

وفى الممتحنة : (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) .

وفى سورة الانفطار : (وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ماقدمت وأخرت) .

وفى سورة العاديات : (أفلا يعلم إذا بعثر مافى القبور . وحصل مافى الصدور) .

ويقول سبحانه فى سورة التكاثر : (ألهاكم التكاثر.حتى زرتم المقابر) .

وفى أحاديث النبى ﷺ أنه قال :

– إن الميت إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه . . إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ماكنت تقول فى هذا الرجل يعنى النبى ﷺ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . قال . فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال فيراهما جميعاً . . وأما الكافر فيقولان له ماكنت تقول فى الرجل : يعنى النبى ﷺ فيقول لا أدرى كنت أقول مايقوله الناس فيقولان له لادريت ولاتليت أى لم تتبع الحق . ثم يضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من عليها إلا الثقلين (أى الإنس والجن) .

ويقول الرسول ﷺ : « القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه – رواه الترمذى .

– وقال ﷺ : « مارأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه » .

– ويقول أيضاً : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » .

« القبر كقطع الليل المظلم . أيها الناس لو تعلمون ماأعلم لبكيتم كثيراً

ولضحكتم قليلا . . أيها الناس استعيذوا من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق » .

– وفى الصحيح عن ابن عباس عن النبى ﷺ : « مر النبى ﷺ بقبرين فقال : إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير . . أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله . . وأما الآخر فكان يمشى بين الناس بالنميمة .

ثم دعا بجريدة (نخل رطبة) فشقها نصفين وقال : « لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » .

– وقال ﷺ : « إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ومن عذاب القبر . . ومن فتنة المحيا والممات . . ومن فتنة المسيح الدجال » .

– وقال أيضاً : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه . . وإن مات أجرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتنة . . » .

الآيات التى تصف حياة البرزخ

٢ – فى البرزخ :

قال الله تعالى فى سورة الرحمن : (مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لايبغيان) .

وقال فى سورة ق : (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .

وقال تعالى فى سورة الأعراف : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنَّا كنَّا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنَّا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) .

وقال تعالى فى سورة السجدة : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنّة والناس أجمعين) .

وقال سبحانه فى سورة النساء : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) .

وقال تعالى فى سورة آل عمران : (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاَّ خوف عليهم ولاهم يحزنون) .

وقال تعالى فى سورة نوح : (مماخطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً) .

وقال تعالى فى سورة الدخان : (لايذوقون فيها الموت إلا الموتةَ الأولى) .

وقال فى سورة الزمر : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) .

وقال تعالى فى سورة النمل : (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين) .

وقال سبحانه فى سورة الانفطار : (وإذا القبور بعثرت) .

وقال تعالى فى سورة العاديات : (أفلا يعلم إذا بعثر مافى القبور. وحصل مافى الصدور. إن ربهم بهم يومئذ لخبير) .

وقال تعالى فى سورة المعارج : (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون. يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) .

وقال تعالى فى سورة القمر : (فتولّ عنهم يوم يدع الداع إلى شىء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر.مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) .

وقال تعالى فى سورة طه : (يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) .

وقال تعالى فى سورة يس : (ماينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون.فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون . ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون . قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون . فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) .

وقال تعالى فى سورة المدثر : (فإذا نقر فى الناقور. فذلك يومئذ يوم عسير. على الكافرين غير يسير) .

وقال تعالى فى سورة الروم : (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) .

وقال تعالى فى سورة المؤمنون : (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) .

وقال تعالى فى سورة الفرقان : (وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً) .

فائدة :

البرزخ : الحاجز بين الشيئين وهو أيضاً مابين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل البرزخ .

حياتنا . . ماذا بعد موتنا ؟

للأستاذ/توفيق الحكيم [1]

هل يقدر لنا أن نرى أحباءنا مرة أخرى بعد موتهم ؟ . . كان « أوليفرلودج » العالم الفيزيائى المعروف منذ القرن الماضى بأبحاثه فى الضوء والكهرباء والإلكترونيات والرياضيات التطبيقية والفلسفة الطبيعية قد انتهى فى أواخر حياته إلى الاعتقاد الراسخ فى إمكان الاتصال بالموتى ، فنشر فى هذا الموضوع مؤلفات منها (بقاء الإنسان بعد الموت) و (الحياة والموت) ثم اتجه إلى المصالحة بين العلم والدين . . وكان لهذا الاتجاه الذى نقله من مجال العلم البحت إلى مجال الروح والدين ماجعل بعض زملائه من العلماء يبتعدون عن أخذ هذا الاتجاه مأخذ الجد ، واعتبروا ذلك نابعاً من عاطفة حزنه الشديد على وفاة ابنه . . فطبيعة الإنسان بما ركب فيه من قوة فريدة فى الذاكرة وإدراك عميق لأبعاد الشخصية البشرية وتقدير مدروس لأعجوبة الإنسان فى هذا الوجود ، كل هذا يدفع الإنسان إلى رفض صورة فنائه وزواله النهائى من سجل الموجودات لمجرد فناء جسمه المادى ، فهو منذ استوى على أرض الوعى الذاتى وهو يؤمن بأنه ماخلق بكل هذه الجواهر الثمينة فى طبيعته إلا ليبقى وتبقى معه طبيعته المعجزة فى حياة ممتدة إلى أبعد من حياة تركيبه المادى الواهن . . ولكن العلم المادى منذ انتفض قائماً كالمارد أخذ يقلقنا . . وأنا بنوع خاص عقلانى

---

(١) جريدة الأهرام - الجمعة ١٩٧٩/٢/٣ .

المنحنى بحكم الطبع المتأصل يستهوينى العلم وأميل إلى تصديقه . . ولكنه يوقعنى فى الحيرة عندما أراه صامتاً أمام الروح . . وقد ألتمس له العذر عندما أتذكر قدراته . إنها قدرات فائقة بالفعل ، غير أنها قائمة على إدراك الأشياء بالحواس المادية .

ومهما يتعمق العالم فى علمه فإن اكتشافاته على علو قيمتها وسمو غايتها وقوة دفعها لتقدم الإنسانية إنما تتم بالفحص والفهم عن طريق ماتدركه وتمارسه حواسنا ، ولاشىء غير حواسنا ، هذه الحواس التى تقرر لنا الموجود وغير الموجود . . وماذا تكون حواسنا الضعيفة القاصرة فى هذا الكون الهائل غير المتناهى ؟ هذه الحواس التى تعجز عن إدراك ماخرج عن نطاقها المحدود . . لذلك لجأ الإنسان إلى شىء يستطيع أن يجيب له عن الأسئلة التى ليس لها جواب عند العلم : إنه الدين . . ولكن أهل العقل يطمعون أن يسمعوا رأى العلم فى الدين وأن يربطوا بين العلم والدين . . ولقد أتيح لى أن أجتمع بعالم كبير فى مؤتمر ثقافى فى فرنسا هو « الفريد كاستلر » عالم الفيزياء الحائز على جائزة نوبل عن بحوثه فى المادة ، ومؤلف كتاب عنوانه (المادة هذا المجهول) وهو مثل « أينشتين » من العلماء المؤمنين . وقد سألته إحدى الصحف الكبرى عن « المادة » وقد قطع فى أبحاثها شوطاً أبعد مماوصل إليه أينشتين لأنه انطلق فى مساره بعد المرحلة التى وقف عندها سلفه العظيم .

أجاب كاستلر : « إننا كلما أوغلنا فى دراسة المادة أدركنا أننا لم نعرف عنها شيئاً . فهناك دائماً وسوف يكون دائماً وإلى الأبد ماهو مخفى عنا » . فسألوه : مخفى بماذا ؟ بمن ؟ . . فقال « بالنظام الكونى . . بالله . . ربّنا . . » هذا نص مالفظه كاستلر .

وكلمة « الله » على لسان عالم إنما تلفظ دائماً بتحفظ . لأنه يخشى أن يسأل

بعد ذلك عمن هو الله ؟ . . وهو بكل علمه ، وبكل علم البشر أجمعين لايستطيع مخلوق على كوكبنا أو أى كوكب آخر ، ولن يستطيع ، أن يصف « الله » . . ولعل خير إجابة هى ماوردت فى القرآن : (ليس كمثله شىء) . . ومع ذلك سألته عن رأيه فى العلاقة بين العلم والدين . فقال : إن العلم ينتمى إلى منطقة المعرفة التى تفسر الكون على أساس مبدأ «السببية » فى حين أن الدين يعتمد فى إدراك الكون على مبدأ « الغاية » . . وهذان المبدآن يكمل أحدهما الآخر ولايعارضه . وبذلك يرى كاستلر أنه لاتعارض بين العلم والدين . فالتوفيق إذن بين العلم والدين قائم دائماً عن طريق الاتفاق بينهما على الهدف . فهما لايختلفان فى كونهما طريقين لصلاح البشرية وتقدم الإنسان . ولكن لكل منهما طريقه الخاص . والخطأ فى التوفيق بينهما إنما يأتى من مطالبة الاثنين بالسير فى نفس الطريق واستخدام نفس الطريقة . فالطريقان مختلفان . والغاية واحدة . . طريق العلم تمتد فيه قضبان حديدية تسير عليها قاطرة العقل البشرى ، وتظل هذه القاطرة تسير حتى تجد أمامها سدًّا منيعاً من بحار لانهاية لها وجبال لانفاذ خلالها فتقف القاطرة العقلية عاجزة . . أما طريق الدين فليس فيه قضبان ولاقاطرة . . إنما هو نور يملأ النفس ويشعرها بالوصول فى حضرة الله دون أن تراه . وهذه المرتبة من الإيمان ليست فى الشعائر التى قد يظن البسطاء إنها هى كل الدين فما الشعائر إلا وسائل يتوسل بها العاديون من المؤمنين لتهيئة نفوسهم وإصلاحها كى تسلك السبيل الذى يؤهلها للاقتراب من أشعة النور الإلهى ، ولذلك فإن التركيز على الشعائر وحدها كما لوكانت هى كل الدين كالتركيز على السلاليم أوالسلالم دون الاهتمام الأعمق والأقوى بالطابق العلوى حيث النور الإلهى الذى من أجله صنعت السلالم التى يرتقى عليها للوصول . فالطابق الأعلى إذاً هو جوهر الدين . إنه إدراك النور بالشعور وبالعقول الكبيرة أيضاً لأولئك

العلماء الكبار الذين ذكرهم الله بقوله (إنما يخسى الله من عباده العلماء) والخشية هنا هى التقدير والإجلال وليست مجرد الخوف من البطش والغضب ، وهؤلاء العلماء الذين قدروا الله حق قدره عندما توغلوا فى الكشف عن أسرار خلقه فتبين لهم فى نهاية المطاف أنهم وأرضهم ليسوا أكثر من ذرة رمل على شواطىء بلا حدود ، وأن خالق الشواطئ والبحار والجبال والسموات والنجوم والمجرات والأكوان له من العظمة بحيث لايمكن أبداً لذرة رمل مثلهم أن يقتربوا من سره إلا بشعاع من نوره يتفضل به عليهم ، وهنا يجدون أنفسهم قد دخلوا منطقة الدين عن طريق عجزهم البشرى ، وكما جاء فى كتاب « درء تعارض العقل والنقل » لابن تيمية » أن الرسل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته وهذا هو طوق النجاة فى بحر اليأس العميق ، اليأس الذى يغرقنى عندما يكاد العقل يقنعنى بأنه لاسبيل لبقاء الروح بعد فناء الجسد مفسراً لى كياننا البشرى تفسيراً علميًّا بأنه مجرد آلة كالآلة الحاسبة يعيش بذاكرته،تملأ بالأحداث على مدى عمره كما تملأ شرائط الكمبيوتر ، وأنه يتحرك بدوافع كهربية مغناطيسية تغذيها دورة دموية ، وأن الذاكرة والروح والحركة إن هى إلا مجرد نشاط عضلى آلى قد يصل التقدم التكنولوجى يوماً إلى أن يصنع مثيلا للإنسان البشرى . . ياله من تصور علمى مخيف . . وياله من شقاء أليم أن نعلم أن أحباءنا الذين ماتوا ليسوا أكثر من آلة تحطمت وصدئت وألقيت فى حفرة العدم النهائى . لارجعة لها ولاقيامة . وكما قال بولس الرسول فى إحدى رسائله فى صدد القيامة ، فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ١٥ : « إن كل الأموات لايقومون فنحن أشقى جميع الناس فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت . ولكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون ، الذى نزرعه لايحيا إن لم يمت . . بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقى ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد ولكل

واحد من البذور جسمه . . وهكذا أيضاً قيامة الأموات يزرع (الإنسان) فى فساد ويقام فى عدم فساد ، يزرع فى هوان ويقام فى مجد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة ، يزرع جسماً حيوانيًّا ويقام جسماً روحيًّا » .

إذا قلت لنا أيها العقل البشرى ويأيها العلم الوضعى إن اجتماعنا مرة أخرى مع عزيزنا الذى مات هو أمر مستحيل عقلا فإن كلمتك لن تكون الأخيرة ، ولن تدفعنا إلى القنوط . . فإن فى قدرة الله وتقديره مايتجاوز أى فكر لأى كائن مهما يبلغ عقله وعلمه فى أى جرم من أجرام الكون اللانهائى .

* * *

حياتنا . . ماذا بعد موتنا ؟

للأستاذ الدكتور/ سمير هندى[٢]

كتب أستاذنا الكبير توفيق الحكيم مقالة بهذا العنوان تساءل فيها قائلا : « هل يقدر لنا أن نرى أحباءنا مرة أخرى بعد موتهم ؟ » .

والثابت تاريخيًّا أن الإنسان تطلع منذ اللحظة الأولى التى شعر فيها بوجوده الذاتى على الأرض لاستشفاف كيفية حياته على الأرض ، ومصيره إزاء الموت ، ومابعد الموت ، وماسيكون عليه فى الحياة الآخرة لأنه أدرك أنه غريب على هذه الأرض ، وأنه يقضى فى الحياة الدنيا فترة من الزمان ، قد تطول وقد تقصر وأنها — هذه الفترة — على أى حال قصيرة جدًّا بالنظر إلى الأبدية التى يتطلع إليها والتى لانهاية لها وأيقن أن الموت مهما طالت به السنون لابد أن يدركه ، ولايزال هذا التفكير ملازماً له فى بؤرة شعوره إلى وقتنا هذا للوقوف على حقيقة هذه الأمور .

وعلى الرغم من أننا لانجد فى أى عصر من عصور التاريخ أمة خلا تفكيرها من وجود حياة أخرى بعد الموت الجسدى ، فإننا نرى القائمين بالمذاهب المادية واللاقدرية والعقلية وغيرهم ينادون بأن الإنسان عندما يموت يفنى تماما روحاً وجسماً ، مثله فى ذلك مثل الحيوان الذى ليس فيه روح خالدة ، فيموت ويتلاشى . لأن الروح عندهم من ذات جوهر الجسم غير مستقلة عنه ، وأنها

---

(٢) جريدة الأهرام الجمعة ٩ فبراير سنة ١٩٧٩

تولد من المادة كما تولد النغمات من القيثارة وكلاهما يتحلل بالموت . وبذلك تكون الحياة الأرضية فى نظرهم هى كل شىء بالنسبة للإنسان ، ولاتوجد حياة أخرى بعد الموت . لأن مايتركه الإنسان بعد موته ماهو إلا كمية من فوسفات الجير والأملاح الأخرى التى تنتج من تحلله إلى عناصره الأولية . ولهذا ينظرون إلى الموت نظرة حقد وكراهية لاعتباره فاجعة تحدث للحياة البشرية ، ولأنه ينهى حياة الإنسان تماماً ويحرمه من التمتع بلذة الحياة والوجود .

وإذا كانت هذه هى نظرة البعض إلى الموت . فإننا نكاد نرى شبه إجماع تام بين كافة الفلسفات والمعتقدات والديانات المختلفة على اعتبار أن الموت ماهو إلا باب يعبر منه الإنسان إلى عالم آخر .

وإذا كان الإنسان قد جلب على نفسه الموت لعصيانه ومخالفته الأوامر الإلهية ، فإن هذا لايعنى أن الموت يتعلق مباشرة فى كل حالة وعلى الدوام بخطايا الإنسان ، لهذا ينبغى أن نفرق بين نوعين من الموت الجسدى الذى يحدث نتيجة لانفصال الروح عن الجسم وموت الخطيئة الذى يكون بانفصال الإنسان عن الله مصدر الحياة لأننا نعلم أن آدم مع أنه حكم عليه بالموت نتيجة مخالفته وصية الله ، وطرد من الجنة فإنه لم يمت الموت الجسدى إلا بعد أن بلغ من العمر تسعمائة وثلاثين سنة لأنه طبقاً للطبيعة الأصلية التى خلق عليها الإنسان ، نجد أنه لم يخلق ليموت . كما لم يكن فى غرض الله بالنسبة للخليقة أن ينفصل اتحاد الروح عن الجسم . ولكن بدخول الخطيئة إلى العالم ، وفساد الطبيعة البشرية ، فقد تغيرت كل هذه الأمور وكان الموت نتيجة للخطيئة .

ولم يقس الله على إنسان ، لأنه كما نال حكم الموت ، كان سينال الحكم بالحياة التى لاتعرف الموت لو أنه ظل بدون خطيئة ، لأن الإنسان بحكم خلقته يعد الكائن الوحيد من بين المخلوقات الأرضية الذى خلق لينعم بالخلود لانفراده

عنها بالعنصر الخالد الذى هو الروح ، ومن ثم كان يمكنه أن ينجو من الفساد ويبقى فى عدم فساد فى حالة احتفاظه بتلك الصورة الطاهرة التى خلقه الله عليها .

ومع أن الموت الجسدى صار يحدث للإنسان ، فإن هذا لايؤدى إلى فناء الإنسان حيث تنطلق روحه إلى العالم الآخر حيث يوم البعث والقيامة العامة ، فتتحد ثانية بذات الجسم الذى كان لها لأنه وإن كان الجسم يتحلل بالموت إلى عناصره الأولية التى يتكون منها ، فإن ذلك لايعنى الفناء للجسم ، لأن كل مايحدث هو أن الموت يعمل على تحويل الجسم إلى عناصره الأولية التى يتكون منها وإلى أنواع أخرى من الطاقة . لأن كل مافى الكون عبارة عن مادة بحسب حواسنا وطاقة ، وإن كلا منهما يقبل التحول إلى الآخرة ، ولايقبلان الفناء .

ولما كانت المادة مستمرة التغيير وجوهرها يختلف عن جو الروح الذى لايتغير ، فإن ذلك يفسر لنا سر بقاء الشخصية الإنسانية كما هى فى جميع سنى حياة الإنسان ومراحل نموه المختلفة ، وفى الحياة الأخرى أيضاً على الرغم من تغير خلايا الجسم وتجددها مرات عديدة خلال رحلة حياته على الأرض .

وإذا كانت الشخصية الإنسانية تستمر فى وجودها ، وإذا كانت الذات أو الروح سوف تظل فى العالم الآخر ، فإن ذلك يوضح أن الحياة الحاضرة ماهى إلا طريق للحياة الآخرة . وبذلك يخطئ من يظن أن هذه الحياة الدنيا هى نهاية المطاف للإنسان ، وأنه بعدها يفنى روحاً ونفساً وجسماً . لأن الموت بمعنى التلاشى لايتفق مع ما تعلم به كافة الفلسفات والمعتقدات الدينية .

فالخلود عقيدة اعتنقتها كافة الشعوب منذ أن بدأت الخليقة ، وآمن بها الإنسان فى كل عصر وزمان على الرغم من اختلاف كل شعب لتفهم وإدراك طبيعة هذا الخلود ، لأن الروح فى ذاتها قوة الحياة والقدرة على الحياة بدون

الجسم ، لأنها جوهر مستقل تمتلك الإرادة المستقلة التى تعبر عن ذاتها خلال الجسم التى تستخدمه كآلة تديرها لإظهار الوظائف المادية والطبيعية للحياة الأرضية ، لهذا تعتبر الروح هى الإنسان الحقيقى لأنها تحيي الجسم فى العالم الحاضر وتحيا بدون الجسم فى مقر الأرواح فى العالم الآخر. وسواء طالت أم قصرت هذه الفترة التى يحياها الإنسان بروحه منفردة عن جسمه ، فإنها لاتستمر إلى الأبد ، لأن بقاءها هكذا رهن بحدوث القيامة العامة حيث تتحد ثانية الروح بالجسم الذى كان لها . لأن بقاء الحياة ودوامها إلى الأبد ليس لعنصر واحد ولكن للشخصية الإنسانية بعناصرها المختلفة . حيث البقاء والخلود للإنسان كله .

وهكذا يتضح أن الموت ماهو إلا استمرار لحياة الإنسان فى العالم الآخر. لأن كل ماللإنسان من ذاكرة وإحساس وشعور ينتقل معه إلى عالم الروح بعد الموت ، ولايترك الإنسان سوى جسمه الترابى فى هذه الحياة فتبدأ الروح رحلتها فى العالم الآخر منذ اللحظة التى تنفصل فيها عن الجسم الذى كانت تتحد به . وتكون فى حالة وعى تام وشعور كامل بوجودها وبوجود الأرواح الأخرى معها فى العالم الآخر ، وأيضاً بمن هم فى عالمنا الحاضر. لأنها بانطلاقها من الجسم تصبح أكثر شفافية ونفاذاً وقدرة على الوصول إلى أهدافها ، ولايكون للزمن حساب عندها ، ولاتبدو المسافات عائقا أمامها ولاتعرقلها الصعوبات .

ويبقى مع الروح فى العالم الآخر كل حياتها . وتحمل معها كافة الأشياء التى كانت تمتلكها فى ذاتها الإنسانية فيما عدا الجسم المادى الذى تنفصل عنه بالموت . وتحيا بممارسة أفعال العقل والإرادة الخاصة بها ، فيبقى معها الذاكرة وكل مافكر فيه الإنسان وإرادة عمله ، وإن كان كثير من الأفكار ليس للإنسان حاجة إليها فى العالم الآخر فإنها لاتتلاشى بل تظل ساكنة إلى يوم الدينونة حيث

يمثل أمام الإنسان كل مافكر فيه وعمله فى حياته الدنيا ، حيث ستكون وسيلة الحكم بما له أو عليه ، فليس هناك نسيان لشىء أو ضعف للذاكرة بل على العكس تزداد الذاكرة قوة كما يحتفظ الإنسان بالعاطفة التى كانت له ، ويتجرد من الأنانية والحقد والكراهية ، وتنعم الروح فى العالم الآخر بالمعرفة الواسعة التى تفوق معرفتها فى العالم الحاضر بتحررها من الهيكل المادى الذى كانت تسكنه ويحد من طبيعتها . ولاتقاس معرفتها التى تكون لها بالمعرفة التى كانت فى العالم الحاضر حيث كانت فى الجسم مغلفة بغلافه الذى يمنعها من الاتصال بالعالم الآخر إلا عن طريق الحواس المحدودة .

وتتطلع الأرواح إلى أخبار أحبائها فى الحياة الدنيا ، وتعرف أحوالهم بما لها من معرفة ذاتية كبيرة وبما يصل إليها من معلومات عن طريق الملائكة التى تتحرك بين السماء والأرض وكذلك عن طريق أرواح البشر التى تنتقل حديثاً من الأرض إلى مقر الأرواح .

ويكون فى مقدرة الروح فى العالم الآخر أن تعرف مايحدث لأحبائها على الأرض وتحاول إقناعهم بوجودها وحياتها ومنعهم عن الحزن والبكاء عليهم ، وكأنى بها تقول لهم لاتحزنوا كالذين لارجاء لهم .

فمن نسميهم موتى هم قريبون منا يشاطروننا أفراحنا ويسعون للاتصال بنا لمساعدتنا ونجدتنا عند الضرورة .

من هذا يتضح أن الأرواح فى العالم الآخر تكون على دراية كبيرة بالعالم الذى تحيا فيه ، وبعالمنا الحاضر لأنها تخلصت من الجسم الكثيف الذى كان يحد من طبيعتها وأصبحت أكثر قدرة على النفاذ إلى عالمنا المادى وأكثر حساسية وشفافية لمعرفة الأمور المحيطة بنا ، وليس هذا بالأمر المستغرب ، لأننا به هنا على الأرض نرى بعض الأتقياء نظراً لروحانياتهم وقداستهم ومايتمتعون به من شفافية

يستطيعون النفاذ عبر المسافات والأماكن ويكونون على درجة من المعرفة غير العادية التى تمكنهم من معرفة مايدور حولهم ، وإدراك أخبار الذين يتعاملون معهم وهم لايزالون أحياء بأجسامهم .

وإذا كانت هذه قدرة البعض فى عالمنا الحاضر ، فكم تكون قدرة الأرواح التى انفصلت عن أجسامها وتخلصت من كثافتها ، وأصبحت فى عداد الكائنات التى تحيا فى العالم الآخر .

* * *

الحياة البرزخيَّة[٣]

للأستاذ الدكتور/محمود بن الشريف

بعد ماعرضنا من أمر البدن وأطوار خلقه والروح وأحوالها والنفس وصفاتها يستوقفنا قول الله سبحانه وتعالى : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) (٩٩ — ١٠٠ المؤمنون) ألا ماأجهل الإنسان حين يظن أنه أحاط بأطراف العلم وأحصى . . ألا ماأشقاه وماأضناه وهو يطرق الأبواب الغيبية يستجدى المعرفة فيهديه الله حيناً وتضله النفس والهوى أحياناً . . أيها الإنسان يامن تظن أنك حى يترقب الموت فى خشية . . انتبه فإنك ميت فى طريقك إلى الحياة فما الموت إلا بداية الحياة . . الحياة المحجوبة عنا والتى نجهلها كما جهلنا حياتنا ذرية فى ظهور آبائنا . . بل كما جهلنا ألصق الأشياء بنا وأظهرها لنا فى حياتنا الدنيا ونحن نركب سفن الغرور إلى الفضاء . .

فالحياة البرزخية أيها الإنسان . . حياة حافلة صاخبة لكن علمك الذى ظننت أنك تقتحم به المجهول يقف فى غباء وبلاهة أمامها . . لايلمس منها إلا القدر الذى أراد الله أن يذكره لنا . . ألا فلتخفض جناحك فهو كسير ولتحتم بحول الله وعلمه وأنت تسلك الطريق إلى معرفة تلك الحياة البرزخية . .

ولتعلم أيها الإنسان بدءاً أن الله جلت حكمته رحمة بنا وإشفاقا علينا حجب

---

(٣) الحياة البرزخية فى القرآن — د/ محمود بن الشريف — دار الشعب سنة ١٩٧٢ بتصرف

الحياة البرزخية عن أعيننا حتى لايتدافن الناس ، أجل حجبها حتى عن الذين جابوا الفضاء بحثاً عن الله وهم عاجزون عن أن يدفعوا الموت بغوائله عن أنفسهم أو أعز ذويهم . . بل حتى عن الذين حاولوا استكشاف الموت ومابعد الموت فوضعوا الأجهزة والمعدات فى القبور فباءوا بالخسران ورجعوا بلاشىء . .

ذلك أن الله بحكمته أراد أن يبلو عباده أيهم أحسن عملا . . فلو أنه سبحانه أظهر لنا تفاصيل هذه الحياة لما عمر الأرض غير ملائكة أو أشباه ملائكة . . ولما كانت الإنسانية فى حاجة إلى رسل أو إلى كتب . . فكان ذلك الاحتجاب اختباراً لإيماننا فلا يستوى من يؤمن بالمحسوس مع من يؤمن بالغيب . . كذلك فإن الحياة البرزخية نفسها مقدمة لحياة يعلم المرء فيها أنه ليس له إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى . . فمن عمل مثقال ذرة خيراً يره ومن عمل مثقال ذرة شرًّا يره . فكان أن سعى الناس إلى تحصيل الخيرات . . والله وحده يعلم حكمة إخفائه هذه الحياة عن الإنسان بعقله المخلوق القاصر عن إدراك الغيبيات وحسب الإنسان أنه إن آمن بالغيب جنى الدرجات العلا ، وإلاَّ باء بالخسران المبين . . فعالم البرزخ . . عالم مابعد الموت . . عالم لامجال للرأى أو العقل فيه . . يصعب على النهى إدراك بعض مافيه . . ويستحيل على الخيال أن يحلق فى سمواته وأرجائه . . فهو ذلك العالم الذى لايستطيع الإنسان بكل مايملكه من أجهزة علمية وقوانين متطورة ومعامل وصواريخ أن يطرقه . . فلا أثر إلا ماأثر عن الرسول ﷺ ولا خبر إلا ماأخبرت به السنة . . وقبل ذلك إلا ماجاء به القرآن كلام الله (ومن أصدق من الله قيلا) وقد ذكرنا فى الصفحات السابقة من الآيات منارات قرآنية تكشف لنا ماأراد الله لنا أن نعلم عن حياة البرزخ . . وتؤكد أن الإنسان الـــذى فجر الذرة وغاص حتى الأعماق وارتفع حتى الذرى لايزال عاجزاً عجز أسلافه الأولين أمام الموت ، وأن

الأرض التى ضمت قابيل هى التى ستضم من بعده كل مخلوق عبر الآباد حتى يوم يبعثون . . ولسوف يبقى الإنسان جاهلا جهله السر مدى طالما هو متشح ببدنه الطينى الكثيف ، بل سوف يبقى فريسة للموت ينزل به فى كل ساحة وساعة يجهل أين يموت ومتى يموت ولايملك أن يدفع عن نفسه النهاية المحتومة . . كذلك سوف يبقى الموت فى جبروته وغموضه ينزل على بنى البشر حين لايتوقع ويمتنع حين يطلبونه . . وحين ينزل يحتضر الإنسان فينظر حيث نظنه لاينظر فإذا هو يرى الله وسر الله وملائكة الله ، والأحياء بجواره يتوهمون أنهم ينظرون وماهم بناظرين . . ألا ماأعجز الإنسان وماأعماه . . (قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) .

وكل محتضر يجأر متوسلا إلى الله (رب ارجعون) ذلك أنه وقف على مشارف النور فرأى من آيات ربه مارأى ، وعرف من أسرار الآخرة ماجعله يدعو ويأمل مطيعاً كان أوعاصياً . . تقيًّا أوفاجراً صالحاً أوطالحاً . . تتكشف له المصائر ويرى دلائل التنعيم وأمارات العذاب فيتوسل الرجوع حتى يزداد طاعة إن كان مطيعاً أو يمحو آثار عصيانه إن كان عاصياً ولكنه رجاء حيث لاجدوى ، وندم حيث لاينفع الندم . . ويقول الرسول ﷺ : « مامن أحد يموت إلا ندم . قالوا : ومانداته يارسول الله ؟ قال : إن كان محسناً ندم ألا يكون ازداد فى إحسانه . . وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون قد أقلع عن إساءته » . . فينادى . . رب . . ارجعون . .

كلا إنها كلمة هو قائلها . . يومئذ يقول أهل النار : (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) .

ذلكم الرد الإلٰهى الحاسم (كل نفس بما كسبت رهينة) . . فقدموا لأنفسكم . .

قال ابن عباد : كان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره قبراً وكان يضع فى عنقه غلاً وينام فى لحده ويقول : (رب ارجعون) ثم يقوم وهو يقول لنفسه : (ياربيع قد أعطيت ماسألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا تردّ » .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال : « إن معاذ بن جبل دخل على رسول الله ﷺ وهو يبكى فقال له : كيف أصبحت يامعاذ ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقًّا . فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إن لكل قول مصداقاً فما مصداق ماتقول ؟ قال يانبى الله ماأصبحت صباحاً قط إلا ظننت ألّا أمسى. وماأمسيت مساء قط إلا ظننت ألّا أصبح. ولاخطوت خطوة قط إلا ظننت ألّا أتبعها أخرى . . وكأنى أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله ، وكأنى أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة » قال ﷺ عرفت فالزم .

* * *

أجل طوبى لمن عرف فلزم . . والندم لمن عرف ولم يلزم . . فإنه لايدرى متى ينقض عليه الموت وعلى أية هيئة تتم وفاته . . فى صحو أو نوم . . فى انتباه أو غفلة . . فى سير أو وقوف . . فى حركة أو سكون . . فى حرب أو سلام . . فمتى حان الحين كان الموت وكانت الوفاة : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) فتجربة الموت الصغرى تمر بنا فى كل يوم فيسلب الإحساس من النائم وتقبض روحه التى تهيم فى دنياها وعالمها ، فلا يربط الجسد بروحه آنئذ إلا رابط فى دقة الخيط ورقته ، فلاتكون إلا أنفاس تعلو وتهبط ليس من فارق سواها بين النائم ليستيقظ والنائم إلى الأبد فالنوم وفاة والرسول ﷺ يقول :

(النوم أخ الموت) . . وعن حذيفة أنه ﷺ كان يقول إذا أراد أن ينام : « باسمك اللهم أموت وأحيا » ثم إذا استيقظ قال : « الحمد لله الذى أحيانا بعد ماأماتنا وإليه النشور » .

فلعل الغافلين ينتبهون إلى أن الموت الأكبر واقع بنا وهم يمرون كل يوم بالموت الأصغر . . بل لعل من ينكرون الحياة بعد الموت يتعظون ولا يكابرون . . بل لعلهم يكفون عن سؤالهم الهزلى : متى يقع ذلك الموت ؟ قل عسى أن يكون قريباً . . فروعة الموت فى بغتته ، وشدته فى فجاءته ، فبين المرقد اليومى والمرقد الأبدى أقل من ومضة ، وأضأل من آونة فإنما هى شهقة فإذا مصير ومسير ، وإذا حياة غير الحياة . . لكن أحداً من الخلق لايعرف متى ؟ أما العليم العلام سبحانه فهو الذى اختص نفسه بالعلم فى خصوصيات لايمكن لباحث أن يهتدى إليها : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وماتدرى نفس بأى أرض تموت) .

فالعجز التام لعلم البشرية الجاهل . . وعقلها المبتسر . . ومعرفتها المحدودة . . (قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون) .

لكن هذه العقول القاصرة بعلمها الجاهل كثيراً ماتنكر وتكذب وتجحد إلا ما تراه مجسماً محسوساً أو ماديًّا ملموساً ، فلا تصدق الحياة بعد الموت ولا البعث ولا العقاب والثواب . . لكن القلوب الواعية التقية المؤمنة هى التى تؤمن بالغيبيات والأمور المعنوية وعن هؤلاء يقول الفرقان : (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب) . . لكن المنزل الأخروى (القبر) حين يضم هؤلاء الجاحدين سوف يصرخون حين تختلف أضلاعهم (رب ارجعون) .

أما المتقون فسوف يفرحون بلقاء ربهم بل سينعمون فى حياتهم البرزخية . . الطريق الموصل بين الدنيا والآخرة . . حياة تبدأ لا بالولادة ولكن بالموت ،

وتنتهى لا بالموت ولكن بالبعث والنشور ، حيث يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون . حياة ليست بالومضة العابرة بل فيها الحساب والنعيم ولمساءلة . . فهى حياة بين حياتين تحلل فيها الميت من طينيته ودخل إلى حيز الروح والحق والنور ، فرأى المحجوب وكشف له المستور وعلم ما كان قد جهل فبصره اليوم حديد . .

حياة البرزخ . . حياة يرى فيها مكانه فى العالم الأخروى ومكانته يوم القيامة فرسول الله ﷺ يقول : « مامن عبد ينزل فى قبره إلا ويعرف مكانه فى الآخرة أشقى أم سعيد » .

وفى الحياة البرزخية صديقون وشهداء أحياء فى قبورهم ، وفيها جاحدون كافرون معذبون فى رمسهم ، وفيها رسل الله من أنبياء وملائكة يعيشون فى أجوائها يسمعون ويرون ويحسون ويشعرون (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون.فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون) .

(ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون) .

وفى الحياة البرزخية متسع للكفار يعرضون فيها على النار غدوًّا وعشيًّا وتضيق عليهم قبورهم (فإن له معيشة ضنكاً) ويذوقون فيها العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر الذى يلقونه يوم القيامة .

ويخبرنا الرسول ﷺ : « مررت ليلة أسرى بى على موسى قائماً يصلى فى قبره » . ويقول ﷺ : «ليلة أن أسرى بى التقيت فى السماء بإبراهيم فقال لى : يامحمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» .

فاللهم حرم على النار أجسادنا ، واهد إلى طريقك المستقيم عقولنا ، وشرف

بالصفاء والإيمان أرواحنا ، وزك بعصمتك نفوسنا . . آمين يارب العالمين . .
واللهم اجعل حياتنا فى الدنيا طاعة لك وعبادة وفى البرزخ انتظاراً لحسن
جزائك بالزيادة . . واجعل فى الآخرة لها من الحسنات مايقيها عذابك . .
ياأرحم الراحمين . . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .